الجزء الثالث

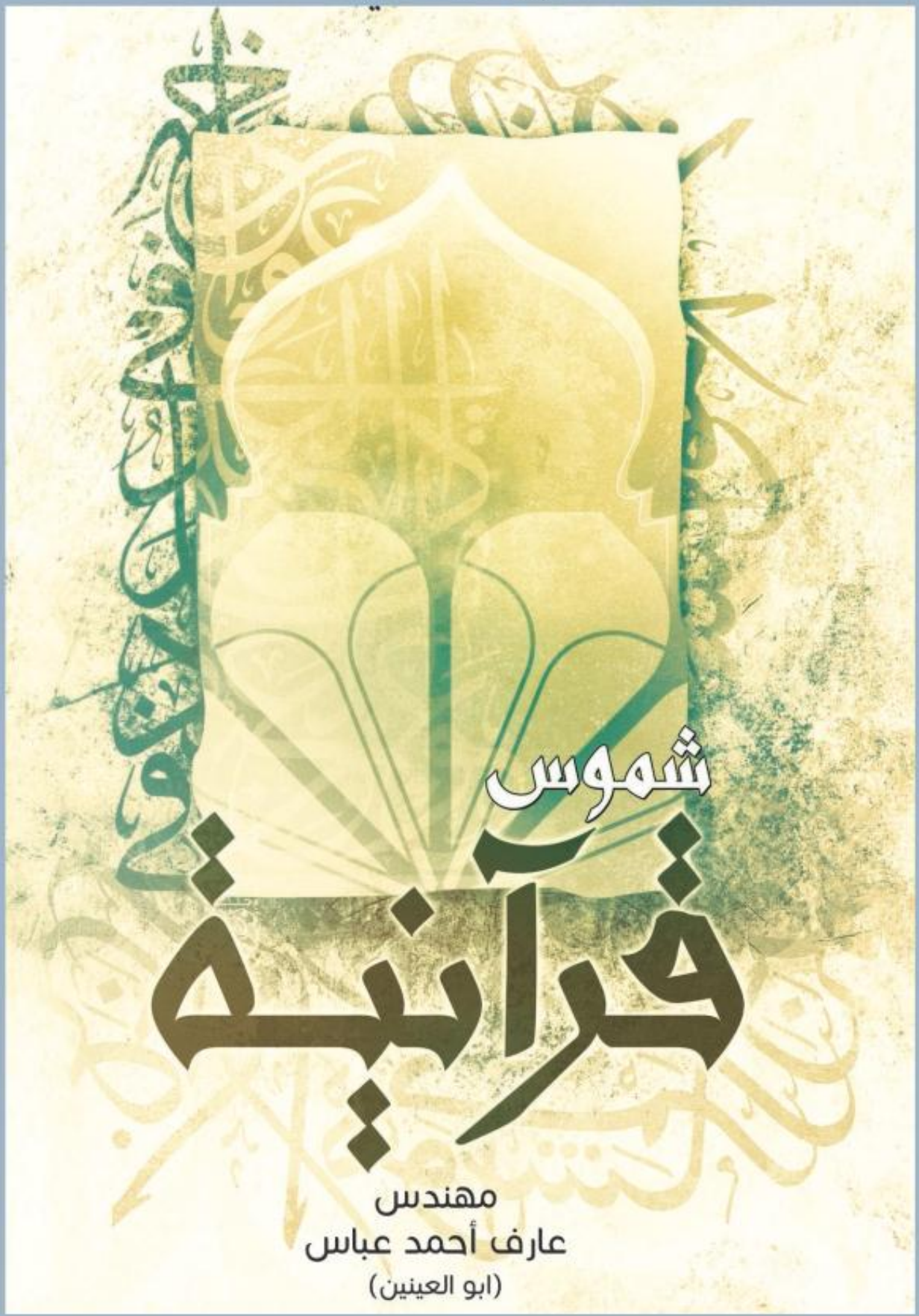

شموس قرآنية

مهندس
عارف أحمد عباس
(ابو العينين)

شمـــوس قـــــرآنيـــة

الجزء الثالث

المهندس

عارف أحمد عباس

(أبو العينين)

الطبعة الأولى

1435 **هجرية** - **الموافق** 2014

المحتويـات

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
الإهداء	1
المقدمة	3
الشمس الأولى	8
الشمس الثانية	11
الشمس الثالثة	13
الشمس الرابعة	16
الشمس الخامسة	19
الشمس السادسة	22
الشمس السابعة	25
الشمس الثامنة	28
الشمس التاسعة	31
الشمس العاشرة	34
الشمس الحادية عشر..	36
الشمس الثانية عشر	39
الشمس الثالثة عشر	42
الشمس الرابعة عشر	45
الشمس الخامسة عشر	48
الشمس السادسة عشر	51
الشمس السابعة عشر	54
الشمس الثامنة عشر	57

الشمس التاسعة عشر 61
الشمس العشرون 64
الشمس الحادية والعشرون 67
الشمس الثانية والعشرون 70
الشمس الثالثة والعشرون 74
الشمس الرابعة والعشرون 77
الشمس الخامسة والعشرون 80
الشمس السادسة والعشرون 83
الشمس السابعة والعشرون 86
الشمس الثامنة والعشرون 89
الشمس التاسعة والعشرون 92
الشمس الثلاثون 95

الإهـــــداء

إلى القمرين...
من كانا سببا الوجود...
وهدية الرب المعبود...
إلى روح أمي، ربي أجعلها في عليين...
وإلى أبي، ربي أجعله من عبادك الصالحين...
و يا ربي رحمتك أرجوها، من كل قلبي، لكل من أحبني، أو أحببتهم فيك...
حاضراً وغائباً، حياً وميتاً...
ولوالديهم أجمعين...
يا رب العالمين...

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم كل شيء منك، وكل شيء بك، وكل شيء إليك.

اللهم أفتح لنا أبواب الرحمة، وأنطقنا بالحكمة، وأجعلنا من الراشدين فضلا منك ونعمة.

أما بعد:

فهذا الجزء الثالث من سلسلة "شموس قرآنية" أقدمه إلى العلماء العاملين ...إلى السادة المربين...إلى أهل الفضل والصلاح... إلى دعاة الخير والفلاح ... إلى الشباب المؤمن برسالته .... وحتى الغافل منهم طمعاً في صحوته.

إليكم أيها الأحباب أبعث الشموس القرآنية!

فإنكم بإنتسابكم إلى الحق، والنظر إلى كل شيء بنور الله ومعرفته، تحول حقيقتكم الإنسانية، من قطرة هينة، إلى بحر زاخر!

ومن ذرة حقيرة مظلمة، إلى شمس كبيرة منيرة!

ومن جاهل بأمسه، ويومه، وغده، إلى مدرك ببصيرته حقيقة نفسه، وكل ما حوله من محسوسات وغيبيات، إدراكاً بحقائقها ودلالاتها وما يرافقها من أحداث ومواقف، كل ذلك وصولاً إلى السير الحثيث، بعد وضوح الطريق، الموصل اليه تعالى، سبحانه، فهو حقيقة الحقائق، ومنور الأنوار!

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ النور: ٣٥

والسبيل الأوحد إلى تحقيق ذلك، لن يكون إلا بالتوجه والنظر:

ـ إلى القرآن الكريم، الذي هو شمس الشموس!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ النساء: ١٧٤

ـوإلى مشكاة النبوة ونورها، خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

وبدون ذلك نعيش ظلمات بعضها فوق بعض!

ابتداءَ من ظلمة في داخل النفس، وظلمة في خارجها !

وعندها يتحول الكون وما فيه، إلى ظلام في ظلام !

فالعبد الذي ايقن بمعرفة الله، يفيض قلبه بالمحبة، محبة كل شيء، إذ يجد أخوة إيمانية في وجدانه مع كل شيء، عدا من تولى وكفر!

وعندما يحقق المؤمن غاية خلقه؛ ويتعرف إلى خالقه، جلا علاه !

عندها وعندها فقط، يكون قد صعد أول درجات السلم!

مع لذة تتضاعف!

ومتعة لا تنقطع!

وشعور لا يوصف!

ولا عجب أن كان، أول مقصد من مقاصد القران الكريم، إنما هو تعريف الناس بالله، المتكلم بالقران!

فأعرف القران، تعرف الله! سبحانه!

بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى!

كما جاء في سورة الحشر:

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الحشر: ٢١

فقال بعدها مباشرة:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾

الحشر: ٢٢ - ٢٤

فالعبد الذي يعرف الله هنا، سوف يعرفه هناك!

ومن أنس به هنا، أنس به هناك!

وأما من أنكره هنا، فماذا ينتظر منه هناك!

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ الأعراف : ٥١

وفي الأخير إلى الله وحده، أتوجه بهذا العمل، راجياً منه حسن القبول وجزيل الجزاء وكريم الثناء.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

م. عارف أحمد عباس

(أبو العينين)

اليمن _ صنعاء

aabbas55555@hotmail.com

الأربعاء

2014/5/14م

(الشمس الأولى)

إن أول نعمة إلهية فاضت أنوارها على الإنسان!

هي نعمة الخلق والإيجاد!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾

الإنسان : ١

آية تملأ القلب هلعاً و وجلاً !

آية ثقيلة على هذا الإنسان، المغرور بنفسه، وقيمته !

الذي لم يكن فكان !

كان عدماً ! ولم يكن شيئا !

حتى تفضل الله عليه بإرادته ومشيئته تعالى!

فقال له: كن.... فكان!

﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾

وكانت ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الفاتحة : ٢

أول كلمة نطق بها الإنسان !

على لسان آدم عليه السلام!

وحتى لا تصير كلمة عابرة ! بل منهجا وسلوكا في حياته !

كان من رحمته تعالى، أن تكون نعمته التالية، هي نعمة الهداية والإرشاد !

﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

نعمة جليلة، حددت بوضوح وجلاء :

_الغاية من الخلق.

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ طه: ١٤

_السبيل الوحيد لتحقيقها.

﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ﴾ الروم: ٤٣

_الأعداء وبأيديهم وسائل عدة، من ترغيب وترهيب !

يحيطون من كل الجهات، بالعبد السالك إلى ربه؛ للحيلولة بينه وبين غايته، التي خلق لها !

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ فاطر: ٦

(الشمس الثانية)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

لقد أفاض الله الخالق، على الإنسان بنعم كثيرة !

أفضلها وأجلها هي نعمة الهداية والإرشاد !

وهي نعمة، أشبه بماء عذب زلال، نزل من السماء!

فأنقسم الإنسان إلى ثلاثة :

_ مؤمن!

رفع فرحاً مستبشراً، كلتا يديه، الطاهرتين النقيتين، من كل نجس ودنس معنوي!

فأستقبل الماء عذباً زلالا، كما نزل، فأنتفع به ومن معه!

وكان مغتسل بارد وشراب!

_ وأخر كافر!

ترك الماء ينزل، حتى إذا أختلط بماء البحر، وأوساخ الأرض!

جاء ليشربه، ملحاً أجاجاً !

فقطع أمعاءه، وأفسد عليه عقله، وقلبه وروحه!

وصار مثله كالأنعام! بل هو أضل!

_ وأخرهم، منافق في قلبه ريب ومرض!

رفع كلتا يديه!

بطراً وخداعاً! وتقليداً لمن قبله !

وتجسد كل ذلك، بيدين ممتلئتين نجاسة وقذارة!

فكان أن صار ماؤه نجساً قذراً ! لم يزده شربه إلا مرضا !

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥ ﴾ التوبة: ١٢٤ - ١٢٥

(الشمس الثالثة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ الأنعام: ١٠٤

_ أبصر لنفسك!

فمن أبصر أبصر لنفسه!

ومن لم يفعل، فقد جنى على نفسه!

_ أبصر لنفسك !

فالفائدة لك، لا لغيرك ! ولا ينوب أحد عنك!

ويقيناً سترى ما لم أر!

ولسوف تبصر ما لم أبصر!

وذلك محض عطاء الله!

_ أبصر لنفسك!

فإذا نصب المولى الكريم الآيات، بصائر للناس!

فإنهم إن لم يبصروا؛ لا يلومون عندئذ إلا أنفسهم!

ولا يبقى على الضلال بعد هذه البصائر إلا أعمى :

_ تعطلت حواسه!

_تبلدت مشاعره!

_مات ضميره!

وإبصار النفس أو القلب هو الذي يصاب بالعمى، الناتج عن الغفلة وعدم التذكر!

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠١

والبصائر من بصيرة !

وهي التي تبصر الناس حقائق الوجود وتدلهم على الطريق السالكة إلى الله !

وذلك عند تعدد الطرق السالكة إلى غيره!

فهي بصيرة لأنها مشعة بالنور!

وهي مبصرة لأنها مضيئة!

﴿ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً ﴾ الإسراء: ١٢

﴿ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً ﴾ الإسراء: ٥٩

فآية النهار مبصرة!

_ يبصر بها الإنسان الموجودات، في عالم الشهادة !

_تبدد الظلام الحسي فيمن حوله!

_يعرف بها النافع من الضار !

وكذلك ناقة الله كانت مبصرة !

_يبصر بها الإنسان حقيقة مجيئه، من عالم الغيب!

_تبدد الظلام المعنوي في داخل نفسه !

_يعرف بها الحق من الباطل !

والمبصرون هم عقبة الباطل الكؤود .

(الشمس الرابعة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ العنكبوت : ٦٤

من دقة القران الكريم، وبلاغته المعجزة !

لا تجد في آياته، لفظ الحياة الدنيا، مقابلا بلفظ الحياة الآخرة !

أبداً ! أبداً !

فلا مقارنة بين الوهم والحقيقة !

وما هذه الحياة الدنيا :

جاءت (ما) للتحقير لما يسمى حياة!

وكأنها لا تستحق وصف حياة!

فهي دنيا؛ من الدناءة والحقارة والانحطاط !

وحبها والتعلق بها وإيثارها على الآخرة !

هي علة العلل!

ومنشأ الغفلة! وأساس كل مصيبة وبلوى !

وهي لا شك حماقة وسوء تقدير!

لا يقدم عليها عاقل بصير!

﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ الرعد: ٢٦

﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ التوبة: ٣٨

حياة فيها متاع قليل وإلى حين!

حياة فيها نعم حقيرة، ومزينة!
فهي مزيفة غير حقيقية!
مقرونة بقبح الزوال!
تلك هي طبيعتها !
وحقيقتها المرة!
تماماً !
فرغم كل الماء العذب الذي تصبه السماء في البحر، إلا أنه يبقى مالحا !
ولا يخدعن المرء نفسه ! فلن يصير البحر عذباً!
إلا إذا دخل الجمل سم الخياط!
الشهوات في الدنيا، لذتها تنتهي ببدايتها !
واللذيذ يصير ممجوجاً قبيحاً، وقد كان قبل قليل في غاية اللذة !
وقديما قالوا:(زوال اللذة ألم، وزوال الألم لذة).
فالحياة الدنيا إذن، ألمٌ في ألمٌ!
ولا شك أن في زوالها، بالنسبة للمؤمن، لذةٌ في لذةٌ!
لو كانوا يعلمون.

(الشمس الخامسة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾

العنكبوت : ٦٤

الحياة الآخرة !

أكثر الناس إما:

- منكرها.

- أو ناسيها ومتناسيها.

وهؤلاء هم البؤساء والتعساء بل والأشقياء !

في الدنيا والآخرة !

﴿ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾ الممتحنة : ١٣

صدورهم ضيقة حرجة، مليئة بالشعور :

- باليأس القاتل الجاثم على أحلامهم!

- وبالخراب والدمار الدائم في حياتهم!

فيعيشون زلزالا نفسيا، ينغص عليهم كل لحظة من أعمارهم!

﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ الحج : ٣١

قد غاب عن هؤلاء أن الحياة الآخرة، هي وحدها الحيوان!

فيضان الحياة !

تفيض بالحيوية والمتعة!

حياة فيها ما فيها!

فيها نعم حقيقية !

﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾ محمد : ١٥

نعم دائمة، لا يعرف لها نهاية!

مقرونة بجمال الخلود !

تلك هي طبيعتها!

وحقيقتها الغائبة عن أكثر الناس!

حياتهم الحقيقية التي خسروها في الآخرة!

ومنهم من يصرخ من هم، وبأعلى صوته نادما:

﴿ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا ﴾ النبأ : ٤٠.

لقد كانوا:

_ في الدنيا موتى وغرقى بل سكرى!

_ وفي الآخرة هم الهلكى!

وأما الأحياء السعداء، فهم من حيوا للآخرة وفي الآخرة!

(الشمس السادسة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الملك : ٢٢

مشهد حي، يجسم حقيقة الحال!

حال الشقي المنكود، الضال عن طريق الله!

وحال السعيد المجدود المهتدي، السائر إلى الله !

وأما حقيقة المصير! ونهايته!

فيحدده الإنسان، هو بنفسه! وبمحض اختياره !

_ فإن جعل الأفق الأعلى نصب عينيه !

ووجه إلى علياء الفردوس بصره وبصيرته!

عندها يصير علوي في كل شأنه وأمره.

فإن تكلم، فمن رفعة وعلو!

وإن سكت، فمن تواضع وسمو !

ناصيته مرفوعة إلى السماء !

غير منكوسة أو مقلوبة!

منصوب القامة! مرفوع الهامة !

ناصيته عندما تسجد على الأرض !

فلخالقها!

لا لأحد غيره، أو معه!

_خضوعا وخشوعا !

_محبة ومهابة!

_إقراراً بربوبيته!

_ اعترافاً بألوهيته !

وأما روحه فمحلقة على الدوام في السموات العلى!

مسبحة معظمة لربها!

يرنو ببصره إلى هنالك! وما هنالك؟

مستقره ومنزله الأول!

فيكون مستقره في النهاية، حيث كان بصره في البداية !

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ المطففين: ١٨

_وأما إن كان ممن ينكس رأسه ذليلا صاغرا، أمام أصنام الدنيا؛ مجتمعة كانت أو متفرقة !

فيكون مستقره في النهاية، حيث كان بصره في البداية !

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴾ المطففين : ٧

قد أختار أن يسير مكبا على وجهه ويديه ! خاضعا وراكعا وذليلا.

يجري وراء سراب الدنيا وحطامها !

(الشمس السابعة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ الفجر : ١٩ - ٢٠

رأس المرض وجرثومته!

عندما يضرب بجذوره في أعماق أعماق النفس!

وينشب مخالبه في أحشاء أحشاء الفؤاد !

الميراث يؤكل أكلاً شرهاً جشعاً!

والمال يحب حباً كثيراً طاغياً!

إنه شدة التكالب على جمع المال بكافة السبل! مع الحرص الشديد والاستعداد الأكيد للموت في سبيله ومن أجله!

ولقد يصل حب المال بصاحبه، إلى حد أنه يعده جزءا متمماً، لجسمه وروحه!

فإذا دُعي للإنفاق!

رأيت عجبا!

أحس كأن روحه بدأت تستل من بدنه!

وجعل ينظر إليك ،نظر المغشي عليه من الموت!

نظرات كلها توسل ورجاء وشفقة !

تتحدث إليك:

_رويدك ثم رويدك!

_رحماك ورفقاً بي!

_فكل قطعة من مالي، قد صارت قطعة من جسمي!

_ولئن هلك مالي، فقد هلكت نفسي!

_إنه حبل الأمل الممدود، ينسيني محتوم الأجل الموعود!

ويشعرني بالبقاء والخلود!

ففي غمرة حبه لماله وسكرته ونشوته!

نسي أو تناسى أنه لم يكتب لبشر قبله الخلد !

وهنا يأتي القران ليكشف عن بصره هذه الغشاوة!

ويوقظه من هذه النومة العميقة!

﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا .. ﴾

الهمزة: ٢ – ٤

صورة مقززة لمن أوتي نعمة المال وكثرته!

ولكنه قلبها نقمة متحكمة ومسيطرة على نفسه !

ومعتقدا في نفسه:

_أن المال هي القيمة العليا في الحياة!

_وأنه إله قادر على كل شيء !

_وأن من ملكه فقد ملك كل شيء!

(الشمس الثامنة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ الفجر: ٢٠

الإسراف في حب المال!

رأس كل خطيئة! أس كل دنيئة! ونبتة خبيثة!

إذا نبتت في قلب أمرئٍ أذلت عنقه!

وهانت عليه كل مهانة في سبيل طلبه!

وقعدت به عن كل مكرمة في إنفاقه!

وانعكس الأمر وأرتكس! وانقلبت الصورة وتبدلت!

فأصبح المال هو السيد المالك، وأصبح حائزه هو العبد المملوك!

وتبدأ سلسلة متتابعة ولا تنتهي من:

_ الحرص والتنافس على جمع المال.

_التحاسد والتخاصم! يظن أن سعة الرزق عند فلان، هي تضييق عليه في رزقه.

_احتقار الناس وازدرائهم.

_تقطيع للأرحام.

_استعداد لسفك الدماء.

وغيرها الكثير من محن وإحن.

فالشح داء تتولد منه الأدواء!

ووكر يسكن فيه الشيطان.

يعيش صاحبه من خوف الفقر في فقر!

قد صار وحشاً في صورة انسان :

_غليظ القلب.

_بذي اللسان.

_ساقط الهمة.

_ممتلئ البطن.

_بليد الحس.

ليس للقيم المعنوية والاعتبارات الإنسانية أي أثر في نفسه!

وليس في عقله وفكره إلا:

_فنون الحيل والمكر.

_الجور والغدر.

_الكذب والتزوير.

_النفاق والتملق.

_الإثم والسحت.

مبدؤه في الحياة وشعاره:

لا تدلني على شرف الوسيلة وطهارة اليد!

ودلني على ضمان الحصيلة ووفرة العدد!

ولهذا جاء القرآن منذراً ومحذراً المؤمنين!

وعليهم الإصغاء ملياً، إلى هذه الصيحات المتوعدة!

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ... ﴾ الهمزة:١ – ٤

(الشمس التاسعة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ..... ﴾ الأنعام: ٩٤

لقد تركتم كل شيء وراءكم!

_المال والزينة.

_الأولاد والمتاع.

_الجاه والسلطان.

فلا خلود إذن أيها الكانزون! ولمن تكنزون الأموال !

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ التوبة: ٣٤

جمع ثم منع!

فتعساً لما صنع !

يطلب المال ليطغى به على العباد !

وينشر به في الأرض الفساد !

انه مبلغ العبث!

بل مبلغ السخف والسفه في تجميع الأموال !

ثم التفاخر علناً أنه أهلكها لبداً!

﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴾ البلد : ٦

أين الحظ المقسوم؟ وأين الحق المعلوم؟

للسائل والمحروم !

إذا قلت له: أنفق!

قال: كم الوارد؟

ثم قلت: أنفق !

قال: كم الصادر؟

ثم قلت: إرحم المسكين!

رد متهكماً: كلنا مساكين!

فإذا قلت: أعطي المحروم!

أنفجر صارخا: وينقص المخزووووووون!

فإن لم يكن له من إيمانه بالله عاصم !

رماه الشيطان بسهمه القاصم !

يثير في النفس الشح والحرص والتكالب.

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ البقرة : ٢٦٨

فسنة الله جارية، لا تتخلف ! ومشيئته مستمرة، لا تتوقف !

مثلما أخذ من سبق، سيأخذ حتماً من لحق !

فالغافلون! الذين أمنوا مكر الله!

هم النادمون ! وهم الخاسرون !

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾

الأعراف: ٩٩

(الشمس العاشرة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾

البقرة: ٢٦٤

إن النفس البشرية لا تمن بما أعطت إلا رغبةً في:

_الاستعلاء الكاذب.

_إذلال الكاسب.

_لفت الأنظار إليها بكل زهوٍ وفخرٍ زائف.

المن عنصر كريه، وشعور خسيس !

يحيل الإنفاق سماً وناراً، يمحق الإنفاق ويمزق الأكباد!

والقران الكريم يلفت الانتباه إلى مراعاة شعور المستحقين والرفق بهم والتلطف في أداء حقهم!

وذلك كله صوناً لماء وجوههم، والإبقاء على عزتهم وكرامتهم!

فالله تعالى لا يعنيه إن تُقضى حاجة المحتاج، بقدر ما يعنيه ألا يُجرح شعوره، ولا تُمتهن كرامته بقول أو فعل أو إشارة!

لا قبل ولاحين ولا بعد العطاء!

فالنظرة العلوية المستكبرة إلى المحتاج، كافية في محق بركة العطاء!

كيف وقد أشعر بموقفه الضارع المسكين!

وليت الأمر أنتهى عند هذا الحد!

فكلما رأيته ذكرته بما أسديت إليه من معروف، أو منحته من عطاء!

ترى هل بقي لك من الفضل شيء؟

أم تطمع بشيء من الأجر عند الله!

لقد ضاع الأجر وصار هباءً! وصرت أنت ومانع الخير سواء!

وصار الإحسان أفضل منه الحرمان!

أما الموقف الإيجابي للمؤمنين الصادقين، يصفه لنا القران الكريم

فهم أكرم طبعاً! وأشد تواضعاً!

يقفون مع المحتاج على قدم المساواة!
خافضي الجناح!
كأنهم يعدونه صاحب الفضل في قبول برهم!
وإتاحة الفرصة لهم لينالوا رضوان الله!
فتراهم في ساعة بذلهم اشد منه خضوعا وأعظم خشوعا!
انهم كما وصفهم ربهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾

المؤمنون: ٦٠

(الشمس الحادية عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾المائدة: ١٠٠

هذا هو قانون القيم ودستورها الأعلى!

قليل طيب مبارك فيه، خير من كثير لا بركة فيه!

وكما هو في الأموال، فكذلك في الأقوال والأعمال على حد سواء!

وفي كل شؤون الحياة!

فإذا نظر المؤمن إلى الباطل المنتفش، وقد صار كثيراً رابياً!

فلا يضطرب قلبه، أو يفزع فؤاده! إن كان الباطل من المفزعات!

ولا يسيل لعابه أو يزيغ بصره! إن كان الباطل من المغريات!

ففي الحالتين لا يختل ميزان المؤمن الذي يزن الأمر بميزان الله!

فيختار الحق الذي لا رغوة له ولا زبد! ولا عدة حوله ولا عدد!

إنما هو الحق!

الحق المجرد إلا من صفته وذاته!

وإلا من ثقله في ميزان الله وثباته!

وإلا من جماله الذاتي وسلطانه!

فمثلاً الآكلون من السحت والحرام!

نبت لحمهم، ولحم أطفالهم، طعمة للنار!

ولم تقبل صدقاتهم وإن صدقوا بالصدقة!

فالله طيب لا يقبل إلا طيبا!

وما تركوه لذريتهم كان مصيره المحق والبوار، ولو بعد حين.

وإن دعوا ربهم وفي أجوافهم أو على أجسادهم شيئاً منه، فهيهات هيهات أن يستجاب لهم.

قال رسول الله ﷺ:

(أرأيت الرجل يطيل السفر؛ أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟)

وأما الآكلون من الحلال الطيب، وإن كان قليلاً!

_فأكلهم هنيئا!

_وشربهم مريئا!

_ودعاؤهم مستجاب!

_وصدقتهم عند الله مقبولة!

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ المائدة: ٢٧

_وما تركوه لذريتهم تولى الله حفظه لهم.

﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ الكهف: ٨٢

(الشمس الثانية عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ..... وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ الزخرف : ٣٢

الحاسد ساخط على قضاء الله وقدره!

غير راض عن حكمته في قسمته!

فالحسود لا يبخل على المحسود بما عنده فقط !

بل يكره أن تصل نعمة الله إليه!

ولا يرضى أن ينزل الله من فضله عليه!

فهو عدو نعمة الله ورحمته! لو استطاع أن يمنعها لفعل!

ولو رآها وصلت، تمنى زوالها، وبذل ما في وسعه لصرفها!

فقلبه كما يقال: دود وعقارب سود. (مثل شعبي من مدينة عدن).

هذه النفوس المريضة، بهذا الداء الخبيث!

لو وكلت على خزائن الله، لأغلقت ما عرفت من أبواب الرزق والرحمة، دون خلق الله!

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ الإسراء: ١٠٠

فالحسود أمام قدر الله النافذ، مثله كمثل الكلب ينبح ولا ضرر، ليس في يده شيء!

فسنة الله الأزلية قد قضت، أن الحسود تبوء محاولاته بالفشل، وبعكس مرادها!

فسهامه دوماً ما تعود إلى نحره ! وعندها تزداد حسرته!

وتتضاعف خسارته!

﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ آل عمران: ١١٩

فالحاسد إذاً لا يضر إلا نفسه!

ولايزال معذباً بغيظه، حتى يموت!

مالم يتدارك أمره، فيتب إلى الله، مُسلِماً، مُسلِّماً، بحكمة الله العزيز الحكيم!

ولنافي أبي سفيان خير مثل!

ولقد حسد بنو يعقوب أخاهم!

فساقوه إلى خير عظيم، قدره الله العزيز الحكيم!

ليصير هو الملك العزيز، وهم الغرباء الأذلاء!

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ يوسف : ٨٨

(الشمس الثالثة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ..... وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ الزخرف : ٣٢

الحاسدون فئتان، من حيث منشأ المرض ومنبته !

-حاسد منشأ حسده الجشع والطمع لشيء عنه مفقود!

-حاسد منشأ حسده الحقد والكراهية لذات المحسود!

وهذا النوع هو ألعنه و أخبثه!

تماما مثل حسد إبليس لآدم عليه السلام وذريته!

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٦٢

ومثله حسد الكفار، من يهود ونصارى ومشركين ومنافقين، للمسلمين الصادقين!

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ البقرة: ١٠٩

فهؤلاء مع كبيرهم يريدون أن يسلبون المؤمنين ما هم فيه من نعم!

لا لتصل إليهم، ولكن لتتحول عن المؤمنين وكفى!

فئة تتمنى الشر للشر !

ففي ذلك راحة بالغة لأنفسهم المريضة!

انهم كما وصفهم الله تعالى:

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا .... ﴾

آل عمران: ١٢٠

لهم قلوب مؤتفكة قاتمة!

بل لهم قلوب ظالمة مظلمة!

منطوية على بغض المؤمنين وكراهية الخير لهم!

راحتها ومبلغ سعادتها أن ترى:

-نعمة عنهم زائلة!

-محنة اليهم نازلة!

-خيراً عنهم ممنوع!

-شراً بهم وبأخر متبوع!

غيظها العميق، وحزنها الشديد أن تراهم:

-في توفيق وسداد، وأمرهم يسر ورشاد!

-في ذكر مرفوع، وصوت مسموع!

-يُجرى على أيديهم نفع!

-يُساق لهم رزق!

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ المنافقون: ٧

(الشمس الرابعة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

آل عمران : ٨٦

خطاب استنكاري شديد اللهجة عنهم!

أولئك الذين شهدوا جمال الحق، ورأوا قبح الباطل!

بؤساء انحرفت فطرتهم وتشوهت، وفقدوا قابلية الاهتداء!

فكان عقاب الله؛ أن منع عنهم الهداية!

فهم في حالة نفسية مريضة!

وبقلوب سوداء قاتمة، يقومون بوظيفة دنيئة، خدمة للباطل، ورفع روحه المعنوية!

ويتلذذون برؤية المؤمنين في هم وحزن!

وهكذا تمضي أعمارهم، خَدمٌ وجِزمٌ في سبيل الباطل والشيطان!

حرموا الهداية!

حرموا التوفيق!

بل حرموا كل خير!

وعاشوا نماذج قبيحة!

لأفراد سيئين، وجماعات ضالة منحرفة!

نماذج تتكرر في كل زمان ومكان!

_ ففي حياة النبي موسى عليه السلام !

كان المرتد بلعام ابن باعوراء!

الذي أراد أن يدعو على موسى، مستخدماً اسم الله الأعظم!

فعاقبه تعالى باندلاق لسانه كالكلب!

_ وفي حياة النبي عيسى عليه السلام !
كان المرتد الحواري الخائن!
يهوذا الإسخريوطي!
الذي وشى بعيسى، ودلّ عليه !
فعاقبه تعالى بأن ألقى شبه عيسى عليه السلام عليه!
فقتلوه وصلبوه!

_ وفي حياة النبي محمد ﷺ !
كان المرتد رجّال ابن عنفوة!
الذي سال لعابه أمام لعاعة من الدنيا، أغراه بها مسيلمة الكذاب !ليلقى حتفه في موقعة اليمامة!
ففي هؤلاء جميعاً، وأمثالهم، قديماً وحديثاً، نزل قوله تعالى:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ ﴾ الأعراف: ١٧٥- ١٧٦

(الشمس الخامسة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

آل عمران : ٨٦

هم الظالمون لأنفسهم، لا لغيرهم!

﴿ ... وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٧

من تمرغوا بين الوحل والطين!

فراراً وفزعاً من دين رب العالمين!

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ المدثر: ٥٠

حريصون كل الحرص على مقاعدهم وأماكنهم في جهنم!

يقدمون كل صباح ومساء، أهليتهم لذلك!

وكأني بهم وهم يصرخون على بعضهم البعض:

"هذا مقعدي في جهنم".

فيرد أخرٌ عليه :"بل هو لي، لقد فعلت كذا وكذا".

فهم في سباق عجيب!

ولهاث مستمر لا ينقطع!

قد تعروا من الهدى!

واستبدلوه بالهوى!

واو اللف والدوران!

وذيل الكلب العوجان!

أولئك هم الظالمون، نراهم بكل حقارة ودناءة يقفون بجانب الظالمين!

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ الأنعام: ١٢٩

-متشابهون في الطبع والحقيقة!
-متفقون في الوجهة والهدف!
-متجمعون في محاربة الحق والهدى!
ففي كل زمان ومكان تراهم كتلة واحدة! وينتظرهم مصير واحد.
يسند بعضهم بعضاً، على رغم ما بينهم من خلاف وصراع على المصالح!
وذلك عندما تكون المعركة مع دين الله! ومع أولياء الله!
تجمع رهيب، ذو خطط شيطانية ماكرة، وخبرة متراكمة لمئات السنين!
كل ذلك موجه إلى الإسلام، وسحق طلائع بعثه! في أي بقعة من الأرض.
وسيصطدمون لامحالة بسننه تعالى!
التي مضت وتمضي، ولسوف تمضي!

﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ فاطر: ٤٣

(الشمس السادسة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَنَا۟ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف: ٩٠

أراد يوسف(عليه السلام) تعليمهم وسائل التعرض إلى نعم الله تعالى!

وحثهم على التقوى، والتخلق بالصبر والإحسان!

تعريضاً لهم، بأنهم لم يتقوا الله فيه، وفي أخيه، ولم يصبروا على إيثار أبيهم لهما.

وهذه من أفانين الخطابة، والدعوة إلى الله، أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة!

وهي فرصة تأثر السامع و إنفعاله، وظهور شواهد صدقه في موعظته!

﴿ أَنَا۟ يُوسُفُ ﴾

يطلق إسمه صراحةً، شجاعةً، وبصوت مسموع!

الإسم الذي كانوا لا يطيقون سماعه؛ ولوكان من أبيهم المكلوم!

كما أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ ... ﴾ يوسف: ٨٥

﴿ أَنَا۟ يُوسُفُ ﴾

أطلقها من صميم قلبه وفؤاده!

تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته!

-أنأت متألم! رمي به طفلاً بريئاً في ظلمة الجب.

-صرخات متوجع! عاش عبداً مملوكاً، لسيدة خانت سيدها، وراودته عن نفسه، فأستعصم.

-بكاء مقهور! ذاق عذابات السجن المريرة، ولسنوات عديدة.
فلو أصغيت السمع قليلاً، لسمعتها واضحة جلية:
-نعم! أنا يوسف الذي فعلتم به ما فعلتم!
-نعم! أنا يوسف المظلوم!
-نعم! أنا يوسف المكلوم!
-نعم! أنا يوسف المرجوم!
-نعم! أنا يوسف المحروم!
-نعم! أنا يوسف.....
نعم! أنا يوسف.....

﴿ وَهَٰذَآ أَخِى ﴾

الذي كاد الله لي، فاحتجزته عندي!
فهو أخي ولاحق لكم به!

﴿ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ﴾

لا تنشغلوا بيوسف وأخيه، وإنما أنظروا إلى فضله تعالى، وعظيم امتنانه!
-جمع بيننا من بعد فرقة!
-يسر أحوالنا من بعد عسر!
-سلّمنا وحفظنا من شركم وحقدكم!

(الشمس السابعة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ .. قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾يوسف: ٩٠

وكانت المفاجأة!

-المظلوم أمام الظلمة!

-الحليم أمام الجهلة!

-المحسن أمام المسيئين!

-جمال الحق أمام قبح الباطل !

فالجمال عندما يحيط به القبح، من كل الجهات، يظهر بشكل رائع وجميل!

فروعة الصورة وجمالها تتحقق في الصفة عند كمالها، وذلك بإطلاقها أو أنطباقها على نفسها :

_جمال جميل!

_ظل ظليل!

_ليل أليل !

_ظلمات مظلمة؛ فبعضها فوق بعض!

وكالنور عندما يصارع الظلام، ويصل إلى عمق أعماقه، فيصير عندئذ:

_نورٌ على نور!

﴿ أَنَا۠ يُوسُفُ ﴾

﴿ أنا ﴾ هنا جميلة ! وهي قبيحة في الغالب !

وسر جمالها:

_أن يوسف عليه السلام تبعها بذكر منة الله عليه: ﴿ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ﴾

_أن ﴿ يُوسُفُ ﴾ لم تعد كلمة شخصية !

وإنما رمزية تدل على الحق، والعفة والاستقامة على الدين!

كلمة تدل على جمال الجوهر، قبل جميل المظهر!

وهذا ما أدركته امرأة العزيز متأخراً!

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

هنا يفصح يوسف عن سِرِّ ثباته، ومكمن قوته!

ويُسجل في القران الكريم، هديةً لأمة محمد ﷺ.

هذا الثلاثي (تقوى، صبر، إحسان) الذي ما أجتمع لفرد أو جماعة أو أمة، مع الأخذ بأسباب النصر إلا أنتصرت، وكان عاقبة أمرها خير. قد جعلها الله تعالى، سنة إلهية!

فلئن خرج يوسف من سجنه إلى سدة الحكم معلناً:

﴿ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ﴾

ليخرَجن بإذن الله تعالى ومنه وكرمه، غزي من سجنه إلى سدة الحكم معلناً:

(أنا غزاوي وهذا شعبي)

ولسوف ترسو عليه!

طال الزمن أم قصر!

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ يوسف: ٣٥

(الشمس الثامنة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ يوسف: ١٠١

إنه التناسب الرائع والجميل!

دعاءٌ ختم الله تعالى به قصة يوسف!

وفيه يدعو يوسف ربه بحسن الختام!

فهذا ختام الختام!

كقرص الشمس المكتمل!

إنه دعاء يوسف عليه السلام، عزيز مصر!

يعلن فيه تضرعه وافتقاره إلى ربه!

وفيه تعليم لكل مسلم، ان يتمثل هذا الدعاء، وأن يجعله هدفاً له، وأن يختم به حياته على هذه الأرض.

﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾

﴿ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾

يوسف يسند العطاء لله، وينسب الفضل إليه، في أهم نعمتين:

_نعمة المال والسلطان.

_نعمة العلم والمعرفة.

﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾

أي: يا فاطر!

فلم يرد في القران أبداً، الدعاء إلى الله مسبوقاً بياء المناداة!

انه تسبيح الذاكر، وثناء الشاكر، وهو في أبهة الجاه والسلطان، وفي فرحة تحقيق الأحلام:

يا ربي بكلمتك خلقت السموات والأرض، وبيدك أمرها!

ولك القدرة عليها وعلى أهلها!

فتلك نعمتك، وتلك قدرتك!

﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾

يوسف يعلنها صرخةً، خالدة في الزمان:

كن وليي في الدنيا والآخرة!

فاعتمادي عليك!

وليس على ما أنا فيه من منصب، أو جاه، أو سلطان.

﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

وضوح الغاية أو الصورة، جليةً، ناصعةً!

عند يوسف عليه السلام!

لم يشوشها غبار المال أو السلطان والملك!

يسأل ربه ما هو أبقى وأغنى.

يسأله النعمة العظمى، وهي نعمة الدين الحق! الإسلام!

إنه الفوز الحقيقي، في هذه الفانية:

_أن يتوفاه مسلماً.

_أن يلحقه بالصالحين.

ولنا في رشيد رضا عبرة بالغة!

كانت أخر آية فسرَها في سورة يوسف، هي قوله تعالى:

﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

وكانت أخر عبارة كتبها في تفسيره القيم (تفسير المنار):

" فنسأله تعالى أن يجعل لنا حظ منه بالموت على الإسلام "

ثم وافاه الأجل (رحمه الله).

﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ آل عمران: ١٨٥

(الشمس التاسعة عشر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾

التحريم: ١٠

المرأتان البائستان! في القرآن الكريم!

مثلاً لقوم بائسين!

والمثل يضرب لتزداد الموعظة وضوحاً!

ففيه تقريب للبعيد! وتوضيح للغريب!

وجعل الأمر محسوساً! وفي الأذهان راسخاً!

والمراد هنا إبراز مبدأ التبعة الفردية جلياً!

ففي يوم القيامة، لا ينفع أحد أحداً، ولوكان أقرب قريب، وأحب حبيب، وألصق نسيب!

إذا فرق بينهما الدين !

_ لا زوجة مع زوجها!

_ لا ولد مع والده!

_ لا والد مع ولده!

قال رسول الله ﷺ:(يافاطمة إعملي؛ فإني لا أغني عنك من الله شيئاً) .

﴿ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ ﴾

لوط عليه السلام كان غريبا و أجنبياً عن القوم الذين ارسل اليهم.

وآية ﴿ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾ هود: ٨٠

توضح هذا الأمر جلياً!

مما جعله يشعر بالعجز الشديد في مواجهة القوم، في الخارج!

وتكون الفاجعة الأشد، ان يتعرض للخيانة من الداخل!

من من؟

من زوجته! أقرب الناس إليه!

والحال كذلك ينطبق على امرأة نوح!

فعجب ولا عجب، ولسنا في رجب!

مثلاً لامرأتين، كافرتين منافقتين!

كانتا في بيتين، لنبيين كريمين صالحين!

ومثلا لإمرأتين، مؤمنتين كريمتين!

_ إمرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى!

وقد كانت زوجة مؤمنة، في بيت من؟

حاكم ظالم!

جبار، طاغية، مفسد!

بلغ عتواً وتمرداً وكفراً، فأدعى الألوهية، وقال ﴿ ...أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾

فكيف تتخيل إمرأة مؤمنة، كانت زوجة، لهذا الطاغية المجرم، عدو الله!

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ التحريم: ١١

_ومريم، التي نالت كرامة الدنيا والآخرة، مع أن قومها كانوا كافرين!

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ التحريم: ١٢

(الشمس العشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾

التحريم: ١٠

المرأتان الخُفاشتان ! المنزعجتان من النور!

فرغم أنهما في بيت النبوة، المملوء نورا وشفاءَ ورحمةً!

فقد كان لهما ظلاماً ومرضاً وعذاباً!

فجعلهما الله تعالى مثلا للذين كفروا! مثلاً يتكرر في كل زمان ومكان !

قوم بدلوا نعمة الله كفراً !

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾

إبراهيم: ٢٨

ومثلهم كم؟

وهم كم؟

ويا قلبي المجروح، منهم كم وكم؟

وجدوا فرصة العيش الكريم، وفي أجواء نظيفة، عفيفة، شريفة!

فلم يستفيدوا من تلك النفحات الربانية، والفرص الرائعة، والموهوبة لهم، من ربهم!

يحنون إلى جهنم وعذابها، وهم على مقربة وخطوات من الجنة ونعيمها!

أخذوا أماكنهم في صف الكفار والمنافقين، وتركوا صف الأنبياء والمؤمنين، ولو كانوا أزواجهم، وأقرب الناس إليهم!

وهكذا لم يعرفوا قيمة النعم والمكاسب التي كانت في متناول أيديهم في الدنيا، وتنتظرهم في الآخرة!

فأضاعوها وحولوها إلى خسران مبين! ووضع مأساوي أليم!

فعاشوا خساراً فوق خسران!

لا يستحقون عليه، حتى الشفقة عليهم! أو النظر إلى مصيرهم!

﴿ ... وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ الحجر: ٦٥

قد عاشوا ظلمات البعد، بينما كانوا في ضياء القرب!

اختاروا الولوج فزعاً، والهروب هلعاً إلى الثقوب السوداء، كالجرذان والحشرات!

وذلك عندما سطعت عليهم أنوارٌ بهية، من شموس ربانية!

كانت _ ويالللخسارة _ على مقربة منهم !

انهم كما وصفهم ربهم، الخبير بهم:

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ التوبة: ٥٧

(الشمس الحادية والعشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ .. كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾

المرأتان الخاسرتان ! كانتا زوجتين خائنتين، لنبيين كريمين!

﴿ عَبْدَيْنِ ﴾

تفيد التعظيم لهذه النعمة!

ومع جلالة قدر هذين العبدين، لم يستطيعا أن يدفعا أو يرفعا، عن زوجتيهما، شيئاً ولو يسيراً من العذاب!

﴿ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ ﴾

صالحين بدل نبيين، لتكون الموعظة شاملة لكل المسلمين!

قد قطع الله بهذه الآية، طمع كل من يعمل المعصية، راجياً أن ينفعه صلاح غيره.

وفيها تشريف لمقام العبودية، وتعظيم لمنزلة الصلاح!

وانه هو معيار التفاضل عند الله تعالى!

وآية: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ هود: ٤٦

تبين هذا الأمر جلياً!

﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾

خيانة امرأة نوح، أنها كانت تقول للناس: إنه مجنون!

وتسخر منه، مع الساخرين من قومها!

وأما إمرأة لوط، فكانت تدل على الضيف، وتخبر النساء بمن يؤمن، من أزواجهن.

﴿ وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾

ولعل العقاب يكون أشد! حسب قاعدة:"المغرم على قدر المغنم"

﴿ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾

فيه تأييس لهما، من أن ينتفعا بشيء من حظوة زوجيهما!

ومساواتهما في العذاب كغيرهم من الكافرين لا مزية ولا اعتبار لهما!

فلا قيمة لـ:

_جوار البيت العتيق.

_عمارة المسجد الحرام.

_سقاية الحجيج.

﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ التوبة: ١٩

فكلها وغيرها، أعمال لا تصرف غضب الله عن القوم المجرمين ! ولا يوجد صارف، يصرف الله عن غضبه، لمن أنتهك حرمات الله، وظلم، وأفسد في الأرض، ولوكان من كان!

(الشمس الثانية والعشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ طه: ١٣

الكلام من الرب المتكلم، إلى العبد الكليم!

آية صريحة، وواضحة كالشمس المشرقة!

وفيها ربط بين الاختيار والتشريف، والقيام بما يتبعه من المسؤولية والتكليف !

﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ ﴾

يفيد نهاية اللطف والرحمة والتكريم!

وفيه نهاية الرجاء!

﴿ فَٱسْتَمِعْ ﴾

يفيد نهاية الهيبة وثقل المهمة، وعبء الأمانة!

وفيه نهاية الخوف !

فلقد جاءك امر عظيم ! هائل! ثقيل! جليل!

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ هود: ١١٢

لا كما رغبت.

فأجعل كل عقلك وخاطرك، مصروفا إليه !

فاختيار الله تعالى موسى، للنبوة والرسالة في بني إسرائيل، مرتبة مشرفة.

لقد نشأ موسى في قصر فرعون كالأمراء، تحوطه العناية والرعاية، ويلقى الاحترام والتبجيل!

وآية:﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾الشعراء: ١٨

توضح هذا الأمر جلياً!

لذا فإن رجوع موسى عليه السلام إلى الناس، الذين كان فرعون يحتقرهم، ويعدهم عبيداً له، ولا يتورع عن قتلهم بكل بساطة، ثم التمازج والائتلاف معهم، ليس شيئاً هيناً على النفس أبدا!

بل عقبة شاقة كؤود، استطاع موسى عليه السلام تجاوزها، وهنا يبرز جلياً السر الإلهي في الاختيار، وما فيه من مدح إلهي لموسى.

فالله سبحانه، كأنه يخاطبه بما معناه:

ولولا اختياري لك، ما استطعت الفكاك من فرعون، والتخلص منه، ومن حباله وحيله!

والسؤال الذي يضع نفسه اليوم، في الدنيا، وغداً أمام رب العالمين:

لقد جعلتكم مسلمين!

فماذا صنعتم لهذا الدين؟

ثم يتفرع منه أسئلة فردية:

﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ مريم : ٩٥

-جعلتك أميراً مسلماً! فماذا صنعت؟

-جعلتك وزيراً مسلماً! فماذا صنعت؟

-جعلتك غنياً مسلماً! فماذا صنعت؟

-جعلتك شاباً مسلماً! فماذا صنعت؟

-جعلتك.... -جعلتك....

﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾ الصافات: ٢٤

ولن يقبل إلا قول صادق، مقرون بعمل صالح، وفق شرط حددته هذه الآية الكريمة:

﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾

الكهف: ١١٠

(الشمس الثالثة والعشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ طه : ٥٨

العرش وبقاؤه!

والكرش وانتفاخه!

هما كل شيء في حياة الطواغيت!

وكل جريمة يمكن ان يرتكبوها بلا تحرج، في سبيل المحافظة عليهما!

وإنها المواجهة بين الحق والباطل!

معركة دائمة، لا تنتهي ولا تتوقف!

وفق سنة إلهية، ثابتة لا تتغير!

كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ هود: ٤٩

فالباطل ينتفش أولاً!

والحق ينتصر أخيراً!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾

كم هي الأسرار! وكم هي الأنوار!

التي تشع إلى قلوبنا من هذه الآيات الكريمة!

مع موسى عليه السلام، الذي شاهد عصاه، ثلاثة مرات، وهي تنقلب بأمر الله تعالى، إلى حية تسعى، ويده وهي تصبح بيضاء للناظرين!

-في الطور أولاً! ليرى منفردا بعين اليقين، واقعاً مطابقاً، لحق اليقين، الكامن عند هذا النبي الكريم.

وليصبح لديه اليقين الكامل، بأنه هو المنتصر، وأنه مهما فعل فرعون وسحرته، فإنه سيغلبهم ويهزمهم!

-ويتكرر المشهد، ولكنه أمام فرعون وملئه!
ليهز الباطل هزاً، وفي قعر داره، وقصره!
فأسقط هيبة فرعون، الإله والرب المزعوم، أمام حاشيته وأتباعه!
-ثم أخيراً، لتكن الآية، واضحة، صريحة، بينة! وأمام كل الناس!
ليتمكنوا من التفريق والاختيار، بين:
-موسى النبي عليه السلام!
-وفرعون عدو الله!
وليكن ذلك بطلب غبي من الباطل، الذي يبلغ به غروره مبلغاً، أن يحدد هو بنفسه، موعداً لهلاكه، وهزيمته!

﴿ ..فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴾

ولنا في أبي جهل مثلاً أخر!
لقد نجت قافلة قريش!
ولكنه لم يؤثر السلامة!
وبلغ به الحمق والغرور، أن سعى بنفسه، إلى حتفه وهلاكه!
جيفة قذرة، رُمي بها، في بئرٍ من آبار بدر، يدعى القَليب!
قلب الله حاله، ودفعه إلى مكان زواله، وجعله عبرةً لأمثاله!

(الشمس الرابعة والعشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾

المبالغة في التحدي!

فإن عندنا سحراً مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه!

إنه التغرير بالجماهير، خيفة أن يفلتوا من عقالهم ونفوذهم، ويهتدون الى كلمة التوحيد، التي يسقط معها كل كبير!

وكل مجرم!

إنه ولا شك غرور الباطل!

أوهم الناس أن ما جاء به موسى، إنما هو من باب السحر، وأن عنده من يقاومه في ذلك. فطلب موعداً للمناظرة بالسحر.

﴿ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾

المماثلة في الجنس، لا في القوة!

لإزالة ما يخالج نفوس الناس من تصديق لموسى، وكونه على الحق، فيفضي بهم إلى الثورة على فرعون، وإزالته من ملك مصر!

﴿ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾

تسمية خاطئة في حق موسى!

وإن كانت صحيحة بالنسبة لقوم فرعون!

ولكن موسى عليه السلام، لم يُستفز، ولم يرد عليه، أو يدخل معه في نقاش، وجدال عقيم!

وترك الأمر للميدان، وللجمهور !

وتسمية فرعون الآيات التي جاء بها موسى سحراً، لتشجيع قومه على المقابلة!

ورفع روحهم المعنوية المنهارة !

إنه عمل من أعمال السحر!

وما أسهل الرد عليه!

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾

وهكذا يفهم الطغاة! عبر كل الأزمان!

إن دعوى أصحاب الحق، عندهم!

إنما تخفي هدف، من أهداف هذه الأرض!

وأنها ليست سوى ستاراً للوصول إلى الملك، وقلب نظام الحكم!

سحر، نأتي بسحر مثله!

مقابلة ظاهرية!

-كلام، نأتي بكلام مثله!

-مظاهرة، نأتي بمظاهرة مثلها!

-ثورة، نأتي بثورة مثلها!

-صلاح، نتظاهر بصلاح مثله!

-عمل طيب، نرائي بعمل طيب مثله!

لا يفكرون إلا بالظواهر والأشكال لغرض خداع عامة الناس وبسطائهم ولا يدركون أن للحق، وأصحاب الحق، رصيداً وعوناً من الله تعالى!

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴾ محمد: ٣

(الشمس الخامسة والعشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ طه : ٥٨

قمة التحدي والغرور، من الأحمق المغرور!

لقد ترك فرعون لموسى، إختيار الموعد !

وشدد عليه في عدم الإخلاف، زيادة في التحدي!

ويطلب مكاناً مفتوحاً مكشوفاً معروفاً!

فإن عندنا سحراً مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه!

ولكن المؤمن بالله، لا يتشاءم!

ولا ينبغي له ذلك!

وهو يرى إمكانيات خصمه المتعددة، قياساً إلى إمكانياته المحدودة!

وعليه أن يستعمل ما أعطاه الله من فضل استعمالاً حكيماً، وبحساب دقيق!

وفق تخطيط مسبق، وهدف واضح!

وهذا ما فعله موسى، فحسب ثقته بالله وتوكله عليه! لم يشأ أن يفعل ما فعله، أمام أنظار فرعون وهامان، وأناس معينين فقط، وخلف أبواب مغلقة!

فإحقاق الحق، وإبطال الباطل، يجب القيام به أمام كل الناس!

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ طه: ٥٩

موعد المنازلة، هو يوم زينتكم وعيدكم !

لقد قابل موسى عليه السلام، تهديد فرعون بتهديد أشد وأعظم!

أشار إلى المكان، بذكر الزمان ﴿ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ !

الكل يحضر، ويرى بسهولة، وفي مكان سوى.

وفي يوم عيد، ومناسبة احتفال!

ليتمكن الناس جميعاً، من الحضور والمشاركة، أفواجاً، أفواجاً!

وإنما واعدهم موسى ذلك اليوم، ليكون علو كلمة الله، وظهور دينه في يوم عيد!

وينتشر الخبر، ويعرف الحدث، الحاضر والغائب، القاصي والداني.

لقد كان موسى على ثقة تامة بنصر الله له!

وأراد أن تكون فضيحة فرعون على الملأ، ووسط جمع غفير !

وهذه فرصة لا يضيعها موسى !

فاليوم عيد، والنفوس مسرورة منبسطة!

ومن السرور والفرح، بما يجعلها أقرب لقبول الحق، من أي وقت أخر.

وهذا تماماً ما فعله نبينا محمد ﷺ!

عندما كان يعرض نفسه، ودعوته، لعامة العرب، وفي موسم الحج!

يوم عيدهم وزينتهم، وتجمعهم !

(الشمس السادسة والعشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ...وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ طه: ٥٩

لقد اختار موسى عليه السلام،وقتاً مناسباً لتجمع الناس، وهو وقت الضحى ليكون أظهر، وأبين، وأوضح !

وهذا شأن الأنبياء، والمؤمنين، كل أمرهم بين واضح، ليس فيه خفاء ولا ترويج!

ولهذا لم يقل ليلاً، ولكن نهاراً، وتحديداً ضحى!

لا في الصباح الباكر، فالناس لازالوا في بيوتهم.

ولافي الظهيرة، فقد يعوقهم الحر!

ولافي المساء، حيث يمنعهم الظلام من التجمع، ومن وضوح الرؤية.

ولكن ضحى!

فالناس في قمة نشاطهم ويقظتهم! ليصدروا حكمهم صحيحا، ويرون الحقيقة ناصعةً، جليةً!

وهذا ما تم وكما أراده الله تعالى من قبل!

ولا راد لقضائه!

لقد انهزم السحرة المهرة!

وفي لحظات قصرة!

انقلبوا من سحرة فجرة، إلى مؤمنين بررة!

أدركوا وأيقنوا بأن ما جرى على يد موسى لم يكن سحراً!

لقد كانت حية، حقيقةٌ، تسعى بأمر ربها!

إلتهمت حبالهم، وكشفت خداعهم وحيلهم!

فأعلنوا إيمانهم أمام الملأ، وأمام جميع الأنظار!

إنها لمسة الإيمان وبشاشته، حين تكاد أن تلامس القلب البشري!

تماماً كلحظة الضغط على مفتاح، لمصباح كهربائي!

فلقد تحولوا في لحظة، من الكفر البواح، إلى الإيمان الصراح!

ومن قيود الكفر وظلامه، إلى حرية الإيمان وضيائه!
مأجورون كانوا بالأمس القريب، على موعد وثيق، مع الجزاء الوفير من فرعون!
فما هي إلا لحظات، لامس فيها الإيمان قلوبهم، ووصل سريعاً إلى أعمق أعماق نفوسهم!
حتى حدث ذلك الانقلاب العظيم، في وجدانهم وكيانهم، يدفعهم دفعاً، إلى التضحية والفداء!
فهم الآن يحتقرون فرعون وجزاؤه!
وهم الآن، غير هُم قبل ثوان!
مستعدون للتضحية بأنفسهم ودنياهم، ابتغاء رضوان الله الحق، وجنته في الآخرة!
لا يخيفهم ولا يرعبهم تهديد فرعون، بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو صلبهم في جذوع النخل!
فلقد حصل المطلوب!
عندما ولى الباطل مغلوب !

(الشمس السابعة والعشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾طه: ٥٩

إن يوم مجيء الحق وانتصاره، إنما هو يوم من أيام الله!

وهو يوم خالد، وهو يوم عيد للمؤمنين!

موعد المنازلة، هو يوم زينتكم وعيدكم!

ليتحقق للعيد معناه!

ففيه يغلب الحق الجميل الأصيل، على الباطل القبيح الدخيل!

وعلى كل مؤمن أن يستعمل ما أعطاه الله من فضل استعمالا حكيماً، وبحساب دقيق!

وفق تخطيط مسبق، وهدف واضح!

وهذا تماماً ما فعله الغلام المؤمن، فحسب ثقته بالله وتوكله عليه!

لم يشأ أن تكون نهايته، أمام أنظار الملك وملئه، وأناس معينين فقط! وخلف أبواب مغلقة!

فإحقاق الحق، وإبطال الباطل، يجب القيام به أمام كل الناس!

الغلام المؤمن الذي أرادوا قتله بشتى الطرق، فلم يفلحوا !

حتى دلَّهم هو على الطريقة، التي يموت بها!

(فقال الغلام للملك إنك لا تقتلني حتى تصلبني وترميني وتقول إذا رميتني "بسم الله رب هذا الغلام")

هذا هو المنطق الصحيح للإيمان، فهو سيموت سيموت في نهاية المطاف!

ولكن لا ينبغي أن يموت بشكل رخيص ودون مقابل !

منطق العمل في سبيل الله حتى الرمق الأخير، وهو على أعتاب اللقاء بالله!

تفكير وتخطيط كيف يموت، وعلى طريقة يحقق بها انتصاراً باهراً للحق!
أجل لو مات الغلام عند إلقائه من الجبل، أو غرقه في البحر!
كان يكسب مرتبة الشهادة في حياته الآخروية!
أما ما كسبه بالطريقة التي حددها بنفسه: موت في سبيل الله وأمام أعين الناس! بذكر الله تعالى الخالق المحي المميت!
فقد كسب إضافة إلى الشهادة، ان جعل موته وسيلة لإيمان مئات الناس!
وعلى المسلم أن يعرف منزلته، وقدر نفسه !
فعندما يرحل من هذه الدنيا، عليه ألاّ يرحل بشكل رخيص!
وعليه أن يقول في نفسه: حسناً أنا راحل!
ولكن ليكن الثمن، غالياً نفيسا !
فبموتي تسطع شرارة ولو صغيرة، وليكن بعدها:
_ انفجار ضخم يزلزل أركان الباطل!
ويهدم عروشه!
_ أضواء قوية تلمع هنا وهناك من مئات، بل الآف المؤمنين قد استعدت للسير على نفس الطريق!
ومن كلام سيد (شهيد القران):" إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع، حتى إذا متنا في سبيلها، دبت فيها الروح، وكتبت لها الحياة."

(الشمس الثامنة والعشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ القصص: ٨

انه فرعون وكفى!

وهامان وزيره المجتبى!

وجنودهما فما بقى!

أسماء مخيفة ومجتمعة، تلقي الرعب في النفوس، لمجرد سماعها!

إذا لم تتداركها معية الله الخاصة!

﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ طه: ٤٦

انهم الطغاة! البغاة! العتاه!

تخدعهم قوتهم وسطوتهم وحيلتهم فينسون إرادة الله وتقديره وقوته!

سبحانه!

القوتان وجهاً لوجه!

قوة الباطل المنتفشة المنتفخة الهزيلة! وقوة الحق الحقيقية!

وهي قصة النبي العظيم، الذي قدر الله له، ان يُسقط عرش فرعون وجبروته، ويحطم استكباره وطغيانه!

فرد واحد، لا صاحب معه، إلا أخاه! اثنان لا ثالث لهما!

وإنها مشيئته تعالى، النافذة القدرية، تُعرّف المؤمنين بأن قوة الباطل وجبروته، مهما عظمت وكانت، لا تقدر على الوقوف أمام قدرة الله وإرادته!

أراد سبحانه أن يرينا عظيم قدرته!

وكيف يهزم الطواغيت!

لنعلم جيداً أن الأعداء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً!

فكيف لغيرهم؟

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾الطلاق: ١٢

لينشئ في قلب المؤمن عقيدة أن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزه شيء مما يريد، وأنه قد أحاط بكل شيء علما.

وانظر إلى قوله تعالى:

﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٧٣

وكيف جعل الله تعالى وبقدرته المطلقة !

بضعة من جسد ذبيح ترد بها الحياة إلى جسد قتيل!

فالظاهر وسيلة مختارة من الله القدير!

والباطن إرادة مخفية لقضائه وقدره النافذ!

قال تعالى: كن...فكان!

أحياء ميت الأمس، بميت اليوم، من ميت الغد!

فالكل ميت معدوم، ويبقى الواحد الأحد الحي القيوم!

كانت وسيلة مجردة بسيطة، كشفت عن القدرة الإلهية المطلقة،

التي لا يعرف البشر كيف تعمل!

وإنما يشاهدون فقط آثارها، مستسلمين لإرادتها، شاءوا أم أبوا !

(الشمس التاسعة والعشرون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ القصص: ٨

بدأ التحدي، فإذا بالقدرة الإلهية تعمل بدون ستار، مكشوفة سافرة!

ولد موسى، والخطر محدق به، والموت بعينه يلتفت إليه شاخصاً!

والشفرة مشرعة على عنقه، تهم أن تحتز رأسه!

وأمه حائرة به، خائفة عليه، عاجزة عن حجز صوته الفطري، حتى لا يدل عليه!

وهنا وبدون توقع أو احتساب، تتدخل القدرة الإلهية!

لتخبرها كيف تعمل؟

وتوحي إليها بالتصرف المطلوب منها!

وترك الأمر لله وحده، سبحانه !

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

القصص: ٧

بالله، ثم بالله، ثم بالله، كيف يكون هذا؟

وياالله! يا للقدرة! إذا خفت عليه، وفي فمه ثديك، وهو تحت عينيك، ألقه في اليم! ولا تخافي ولا تحزني !

فسيكون في معية خاصة مع الله، وقدرته وحفظه!

إنها معية الله، وكفى!

التي تجعل المخاوف أماناً!

والنار برداً وسلاماً!

والبحر ملجأ ومناماً!

ولا يجرؤ فرعون الطاغية الجبار!

ولا جبابرة الأرض جميعاً، أن يدنو منه بسوء أو مكروه!

﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

إن العقل البشري ليعجز عن إدراك، أو تصور كيف تعمل هذه القدرة الإلهية!

مكتفياً بالمشاهدة فقط!

وإنها القدرة الحقيقية، تتحدي القدرة المزيفة!

تتحدى فرعون وهامان وجنودهما!

ها هي ذي تقتحم به، على فرعون، حصنه الحصين !

دون تعب في البحث عنه، في بيوت بني إسرائيل.

فتلقي في أيديهم، بلا بحث ولا جهد وكد، بطفل ذكر مجرداً من كل قوة، ومن كل حيلة، عاجزاً أن يدافع عن نفسه، لكنه يحمل قدر الله وإرادته، بأن يكون زوال فرعون وملكه على يديه!

هذا قدره، سبحانه!

وهذه مشيئته، سبحانه!

مليك مقتدر، يقول للشيء كن فيكون !

(الشمس الثلاثون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾الزخرف: ٧٨

الله أكبر!

أية صريحة، كاشفة، بل وفاضحة! بينت أصل المسألة، وبيت القصيد!

كراهية أكثر الناس للحق!

لأنه يسلبهم القيم الباطلة، والطافحة التي يعيشون بها ومعها!

في انسجام وتوافق، عجيب وغريب!

فهم منها يشتكون، وإليها يشتاقون!

وهم يكرهون الحق، لأنه يقف عثرة أمام نزواتهم الفاجرة، وأهواءهم المتأصلة، التي بها يعتزون، وإليها يتحاكمون!

كراهة الحق!

هي التي كانت تحول بينهم وبين إتباعه، لا عدم إدراك الحق، أو الشك في صدق الرسول الكريم!

والذين يحاربون الحق، لا يجهلونه، أو ينكرونه، ولكنهم يكرهونه!

لأنه يصادم أهواءهم، ويقف في طريق شهواتهم!

وكلفة كراهية الحق، دائماً ما يكون ثمنها غالياً باهظا، ومنها:

-الانهزام في المعارك، والفشل الذريع، وعدم التوفيق، في كل مجالات الحياة المختلفة!

-الأمراض والمصائب وما فيها من آلام!

-العذاب من الله.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٤

وكل ذلك إذ يحصل للمكذبين المجرمين!

يحصل كذلك، وبنسب متفاوتة، للصالحين والمجاهدين، من باب التطهير من الذنوب، ورفع الدرجات، كما جاء في الحديث:

(لا يصيب المسلم من هم ولاغم ولا وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه.)

فقد يتطاول المرء فوق قدره، لأن الرزق بسط له، أو لأن جاهه أتسع!

فتأتيه العقوبة الربانية، من حيث لا يشعر، تأديباً لا تعذيباً، وتهذيباً ورداً به إلى حالة الاعتدال التي يتجاوزها المخطئ، في نشوة القوة، وطغيان الثروة!

أمواج عاتية من الألم، تغمر المخطئين، حتى يعودوا إلى رشدهم صوابهم !

أو تأخذهم إذا تأخر صلاحهم، واستمر عنادهم!

﴿ ...وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ هود: ٤٣

وبعض بغض الحق، عندما كان في شيء لا ينتفع منه، ولا يأتيه منه خير!

فهو لديه شر محض!

فالحق كل الحق،أن تصدر حكمك على الشيء، و هو عليك، كما هو لك!

فمثلاً تكره الكاذب سواء كذب لك أو عليك !

ولقد وصف الله تعالى، المنافقين وصفاً فاضحاً:

﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ النور: ٤٩

_ أبصر لنفسك!
فمن أبصر أبصر لنفسه!
ومن لم يفعل، فقد جنى على نفسه!
_ أبصر لنفسك!
فالفائدة لك، لا لغيرك! ولا ينوب أحد عنك!
ويقيناً سترى ما لم أر!
ولسوف تبصر ما لم أبصر!
وذلك محض عطاء الله!
_ أبصر لنفسك!
فإذا نصب المولى الكريم الآيات، بصائر للناس!
فإنهم إن لم يبصروا؛ لا يلومون عندئذ إلا أنفسهم!
ولا يبقى على الضلال بعد هذه البصائر إلا أعمى:
_ تعطلت حواسه!
_ تبلدت مشاعره!
_ مات ضميره!